Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الجنس الأدبى الفذ ، إيثارا لمقاربة نصه النقدى الفريد ، الذى تأسس على بعد آلاف الأميال فى مصر على يد ابن سناء الملك فى كتابه " دار الطراز " ، إلا أننا سنجد تطابقا مدهشا بين جملة الملامح الأسلوبية البارزة للموشحة ، وبين هذه الصورة الطريفة للمدينة المطرزة اللعوب ، وكأنها فى بنيتها " تجريد موقعى " كما يقول أصحاب النظرية المحدثة التى ترمى إلى الربط بين البيولوجيا واللغة على أساس التشكل الهندسى .

وأول ما يبدهنا فى الموشحة هو انحرافها الحاد عن نموذج القصيدة المشرقية وخروجها عن إطاره ، وهو إنحراف أندلسى فى صميمه ، أدت إليه ضرورات الزمان والمكان ، وتجلى فى ثلاثة مستويات متراكبة : موسيقية ولغوية وأخلاقية . ومن ثم فان الجهد النقدى الضائع الذى يتكلفه بعض الباحثين ، للمباعدة بين الصفة الأندلسية والموشحات ، بارجاعها إلى أنماط المسمطات والمخمسات المشرقية يغيب عنه الوعى بشبكة العلاقات النصية والتاريخية معا . وكان ابن سناء الملك صريحا وقاطعا فى تحديده لهذه النسبة من أول سطر فى كتابه : " وبعد ، فان الموشحات مما ترك الأول للآخر ، وسبق بها المتأخر المتقدم ، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وغادر بها الشعراء من متردم " (٢) . وقد وضح ابن بسام من قبله فى الذخيرة هذه النسبة قائلا : " وكانت صنعة التوشيح التى نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقمة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة بن ماء السماء منآدها ، وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه " (٣).

ونقرأ خبرا يورده ابن سعيد فى " المقتطف " يقول : " سمعت الأعلم البطليوسى ، يقول إنه سمع ابن زهر يقول : ما حسدت وشاحا على قوله إلا ابن بقى حين وقع له : -

أما ترى أحمد * فى مجده العالى * لا يلحق

أطلعه المغرب * فأرنا مثله * يا مشرق (٤)

وأحسب أن ابن زهر ، وهو الوشاح المتفنن ، قد باح فى هذا الاعتراف بسر حسده لابن بقى ، لا لأنه قد أبدع فى مدح أحمد هذا بمالا نظير له ، بل لأنه قد عبر عن مكنون سريرته بتحدى المغرب للمشرق بهذا اللون من التوشيح وكأن الممدوح قد أصبح هو الوطن ،